السلام العالمي عند برتراند راسل بين الإمكان و الاستحالة

The world peace according to Bertrand Russell between the possibility and the impossibility

فاطمة بويحي

كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

تاريخ الاستلام: 2020/09/08 تاريخ القبول: 2020/09/14 تاريخ النشر: 2020/12/30

ملخص:

مع ارتفاع وتيرة الحروب المندلعة هنا وهناك ، كان لزاما التفكير في حل يجنب العالم خرابا سيؤول بالحياة إلى النهاية ، و سيكون العالم بأفضل حال من دوننا ، خاصة مع تطور أسلحة الدمار الشامل ، هذا ما دفع بالفيلسوف برتراند راسل إلى التفكير في مشروع سلام عالمي تضمنه حكومة عالمية مهمتها الأسمى هي حماية العالم، فكان عنوان بحثنا ينصب حول تقييم هذا المشروع فيما إذا كان قابلا للتطبيق من عدمه ، فطرحنا الاشكال التالي : ما هي أسس السلام العالمي عند راسل ؟ و ما هي شروطه ؟ و هل استطاع تحقيقه فعلا ، أم بقي مجرد يوتوبيا يستحيل تحقيقها ؟ ، و لمعالجة الاشكال اعتمدنا على المنهج التحليلي الملائم لهذا النوع من المواضيع .

الكلمات المفتاحية : السلام العالمي ، الحكومة العالمية ، السلم ، الحرب ، الحرب العالمية ، أسلحة الدمار الشامل .

Abstract:

With the increase in wars ; it was necessary to think of solutions that would enable us to protect the world , especially at a time of development of weapons of mass destruction ; these circumstance prompted Bertrand Russell to consider setting up a global peace project , whose primary mission is to protect the world . for this ; the topic of our research was on the foundations of world peace in Russell's philosophy and the possibility of it's achieving .

Keywords: world peace ; world government ; peace ; war ; world war ; weapons of mass destruction .

–**المرسل: فاطمة بويحي**، maysabouyahia@gmail.com ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله

مقدمة :

لم يتوقع الكثير من من عرف برتراند راسل قبل 1914 أن ذلك الفيلسوف المنطقي بإمكانه الخروج من دائرة المنطق و الرياضيات ، و الانفتاح على موضوعات موجهة بالخصوص إلى عامة الناس ، ولكن كتاب ((أسس لإعادة البناء الاجتماعي)) كان له رأي آخر ، إذ كان بمثابة الجسر الذي عبر به راسل من الرياضيات إلى مواضيع تتعلق خاصة بالسياسة و الواقع الاجتماعي ، قد يتساءل البعض وما أهمية العبور إلى ضفة أخرى لا تهم الفيلسوف العلمي بتاتا .

الاجابة عند راسل بسيطة جدا ، فما دامت غاية المنطق هي توجيه الفكر الإنساني لمعرفة العالم، باعتباره يشكل أبجدية كتاب الطبيعة ، لا الكتاب نفسه [1] ، سيكون دور المنطقي هو معرفة العالم و استعمال أبجدياته لمعالجة مشكلاته ، و لما كانت مشكلة السلام العالمي من أهم المشكلات التي عرفها العالم في بداية القرن العشرين ، كان لزاما على رسل التحرك مسلحا بمنطقه القوي لمحاربة الحرب ، باحثا عن تحقيق سلام عالمي يحلم به العالم أجمع .

فما هي أسس السلام العالمي عند راسل ؟ و ما هي شروطه ؟ و هل استطاع تحقيقه فعلا ، أم بقي مجرد يوتوبيا يستحيل تحقيقها ؟

1 السلام العالمي بين المفهوم و التطور :

2. 1 مفهوم السلام العالمي :

أول ما نصادف مصطلح السلام العالمي نعود مباشرة إلى أصل الكلمة ، السلم و السلام والسلامة ، و التي تشير في اللغة العربية إلى النجاة و البراءة من محدق معين ، كما تشير إلى السعادة والخلاص [2] ، فنقول سلم الرجل من بأس معين ، أي نجا منه ، و نقول السلام عليكم ، أي الأمان لكم ، وهي تحية الإسلام ، كما تشير إلى الخلاص في اللاهوت المسيحي [3] ، فنقول السلام لروحه ، أي الخلاص لروحه ، هذا ما يجعلها تشير إلى كل ما يتعلق بالراحة . أما مصطلح السلام العالمي فقد ورد في النقاط

---

[1]) Bertrand Russell ; The Art Of Philophizing and other essays ; Philosophical Library; (New York ; 1968) ; p 11 / 12 .

[2]) جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج 1 ، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة (بيروت ، 1982) ، ص 664 .

[3]) المرجع نفسه ، ص 664 .

الأربع عشرة لويلسون ، التي كان ينظر إليها على أنها ركائز لديمومة السلام بعد الحرب العالمية الأولى [4] ، حتى و إن ورد قبل ذلك عند الكثير من المفكرين .

2 ـ2 السلام العالمي قبل راسل :

يعتبر كانط من أول الفلاسفة الذين جعلوا السلام العالمي مشروعا مهما يجب تحقيقه ، باعتبار أن الحرب خطر على الجميع ، و لم يكن متسرعا في بناء المشروع ، بل حاول تطبيقه وفق خطوات مرحلية ، يتم فيها تمهيد الأرضية ، و شق الدروب ليتم تشييد البناء وفق هندسة خاصة غايتها الأسمى تحقيق سلام عالمي ، و لا يكفي في رأيه ابرام المعاهدات بين الدول لضمان تحقيق السلام ، إذ يشترط أن تكون معاهدة السلام المبرمة بمثابة الفاصل الذي يقطع الطريق أمام أي حرب من خلال وأد أسبابها [5] ، و تطوير جيوش الدول من أحد أسبابها ، إذ لا يعتبر تطوير الجيوش و تسليحها فقط للحماية من العدوان ، بل يعد طريقا معبدة للحروب ، إذ تحتاج في عملية التطوير تلك إلى نفقات قد تتطلب العدوان على دول أخرى لتغطيتها ، كما أن استعمال الجيوش في العدوان هو بمثابة جعل الجندي مجرد آلة مستعدة للموت من أجل كيان معين هو الدولة ، و هذا يتنافى مع حقوق الإنسان التي أقرها كانط ، لذلك فالأفضل عنده هو إلغاء كل الجيوش إلغاءً تاما على مر العصور [6] ، و وضع دساتير جمهورية قائمة على مبدأ الحرية والمساواة [7] ، و يبدو تأثر كانط بمبادئ الثورة الفرنسية جليا ، إذ وضع هذا المشروع في أعقاب نجاحها .[8] وكانت غايته هي تحقيق ما حققته هذه الثورة على المستوى العالمي من خلال أرساء مبادئ سلام عالمي تطال العالم ككل .

2 الحرب و تهديد السلام العالمي :

---

[4]) حولة محي الدين : دور الأمم المتحدة في بناء السلام ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية ، المجلد 27 ، العدد 03 ، 2011 ، ص 489 .

[5]) إيمانويل كانط : مشروع للسلام الدائم ، تر عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة ، 1952) ، ص 25 .

[6]) إيمانويل كانط ، المرجع نفسه ، ص 28 .

[7]) إيمانويل كانط ، المرجع نفسه ، ص 41 ، 44 .

[8])w.B. Gallie : Philosophers of peace and war ; Kant ; Glausewitz ; Markx ; Angels and Tolstoy ; Cambridge university press ; (LONDON 1978) ; P 8 .

يعرف راسل الحرب على أنها اشتباك بين جماعتين مختلفتين من البشر ، تسعى كل واحدة منها للقضاء على الأخرى ، أو تشويه أكبر عدد منها لتحقيق غاية معينة [9] ، تصب كلها في بسط السيطرة ، هذا ما يجعلها بمثابة العنف الذي يمارس تجاه فئة معينة بغية استغلالها ، هذا ما يجعلها أكبر خطر محدق بالسلم العالمي ، كيف لا و هي التي تجعل من الخراب موطنا تسكنه المدن إذا زارته ؟ ، كيف لا و هي التي تجعل الموت مستوطنا قابعا على رؤوس ساكنة المدن التي حلت بها تاركة خلفها أشباح النهاية تطال كل ما أنتجته الحضارة الإنسانية على مر العصور ؟ هذا ما جعلها بمثابة العدو الذي يسعى رسل التخلص منه بأي طريقة لتنعم البشرية بالعيش الكريم في أحضان السلم ، و يظهر عداءه لها بشكل جلي في جملة المؤلفات التي كتبها ابان الحرب العالمية الأولى و الثانية و ما بعدهما ، ككتاب أسس لإعادة البناء الاجتماعي ، و كتاب آمال جديدة في عالم متغير ، و كتاب هل للإنسان مستقبل ؟ و غيرها من المؤلفات ، و لم يقف عند مستوى الكتابة فقط ، بل انضم أيضا إلى جماعة المعترضين عليها ، إلى درجة تمني الانتماء إلى عداد الأموات قبل نشوبها باعتبارها جعلت أيام 1914 بمثابة الجحيم الذي لا يطاق [10] ، هذا ما جعله عرضة للسجن مرات كثيرة .

و لم يكن رسل ليكره الحرب بالمستوى الذي مقتها به لو لا اطلاعه على جملة من روايات قتلة الإنسانية في تصريحاتهم المبتهجة باندلاع الحروب ، و استمتاعهم بقتل الأبرياء اشباعا لرغبات يحركها العداء الغريزي ، فها هو ببرونو موسولوني نجل بينيتو موسولوني يصرح منتشيا << كان علينا أن نشعل النيران في الجبال التي تغطيها الغابات ، و أن نحرق المزارع و القرى الصغيرة ..... كان كل شيء مسليا كل التسلية >> [11] ، هكذا أصبح توزيع الموت و زرعه بين الأبرياء مجرد تسلية يمارسها القوي كهواية من هواياته غير عابئ بسقوط الضحايا الذين لا ذنب لهم إلا لأنهم كانوا في مرمى عدائه ، و المحرك الأساسي لهذه المشاعر العدائية هو ما أسماه رسل بحمى الحرب ، و التي لن يتسنى لسلام عالمي حقيقي التجسد ما لم يتم وضع حد لانتشار عدواها [12] ، هذا ما فرض عليه البحث عن السبب الرئيسي لانفلات هذه الحمى من عقالها ، و تبوئها للراهن الإنساني الذي أصبح تحت تأثيرها قاب قوسين أو أدنى من الاضمحلال ،

---

[9])Bertrand Russell : The Problem Of China ; Georg Allen and UNWIN LTD . Ruskin House ; (London) ; p 18 / 19

[10]) آلان وود : برتراند راسل بين الشك و العاطفة ، تر رمسيس عوض ، دار الأندلس للطباعة و النشر ، (بيروت ، 1984) ، ط 1 ، ص 94 .

[11]) برتراند راسل : السلطان ، آراء جديدة في الفلسفة و الاجتماع ، تر خيري حماد ، منشورات دار الطليعة للطباعة و النشر ، (بيروت ، 1962) ، ط 1 ، ص 36 . بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2008) ، ص 51 .

[12]) برتراند رسل : أسس لاعادة البناء الاجتماعي ، تر إبراهيم يوسف النجار ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (بيروت ، 1987) ، ط 1 ، ص 73 .

فاكتشف أن البشر يكرهون الروتين و الهدوء ، و يميلون بطبعهم إلى المغامرة التي تبث في النفس نشاطا قلما يتم الشعور به ، فتندفع جموع المواطنين إلى التهليل اغتباطا بها تحت ذريعة الانتصار للوطن الذي ينتمون إليه [13] و تصبح القومية التي كانت أساس تكوين الدول بمثابة المحرك الأساسي لاندلاع الحروب ، خاصة و أنها تغذي في الفرد مشاعر الفخر الزائد بالانتماء إلى أمة دون سواها ، و مشاعر التكبر التي تمنعه من التنازل عن تعصبه للحرب [14] ، هكذا تصبح (القومية) بما توفره من وسائل أدلجة كالتعليم و الإعلام الرافد الرئيسي لمسببات الحرب ، خاصة و أنها تعلم الطفل التمييز بين من ينتمون إلى موطنه و من يختلفون عنه ، من خلال التشديد على رسم الحدود بين الدول في الخرائط التعليمية باللون الأحمر ، تمهيدا لإعداد مواطن يدافع عن من هم داخل اللون الأحمر ، و يحارب من هم خارجه [15] . هذا ما فرض على فيلسوفنا الانتماء إلى المعارضين للحرب بحثا عن السلام ، الذي هو ضروري جدا لضمان استمرار الجنس البشري في ظل تطور آلات الموت المختلفة من آلات دمار شامل ، و انتفاء كل الخيارات أمام البشر عدا << أن يحيوا جميعا ، أو أن يموتوا جميعا >> [16] .

و في هذا راح يصرح قائلا : << و لما كان المتوقع أن تصبح الحرب أكثر دمارا بالنسبة للأرواح البشرية مما كانت عليه خلال القرون السابقة ، أصبح توحيد العالم تحت ظل حكومة واحدة أمرا ضروريا حسب توقعي ، ما لم نوافق ضمنا على إفناء الجنس البشري أو العودة إلى حالة الهمجية >> [17] .

3 السلام العالمي عند راسل :

ارتفعت أصوات الموت و هي تدنو من كل أشكال الحياة ، و هي تدنو من صور الحضارة التي ما فتأت تفقد بريقها و هي تزحف نحو النهاية دون أن تدري ، ها هي حضارتنا التي تعبنا في تشييدها ، حضارتنا التي كانت محصلة لتعب الإنسانية على مر العصور على شفا الانهيار[18] ، فكان مشروع السلام العالمي بمثابة الحل الذي يقدمه رسل ، فما دام هدف السياسة الأسمى هو أن يحيا الفرد حياة فاضلة

---

[13]) المصدر نفسه ، ص 77/75.

[14]) برتراند راسل : الشيطان على الأرض ، تر خليل حنا تادرس ، مكتبة السائح ، (طرابلس ، 2017) ط 1 ، ص 125 .

[15]) Bertrand Russell : justice in war time ; The open court publiching co ; (Chicago ; 1916) ; p 55 .

[16]) برتراند راسل : السلطان ، ص 41 .

[17]) برتراند راسل : أثر العلم في المجتمع ، تر صباح صدّيق الدملوجي ، المنظمة العربية للترجمة ، (بيروت ، 2008) ، ط 1 ، 51 .

[18])Bertrand Russell ; The prospect of industrial civilization ; Routlege classics; (landon and New York ; 2010) ; p 04 .

سعيدة [19] ، فما علينا في رأيه إلا ضمان ذلك من خلال تحقيق سلام عالمي يصون الإنسان و حضارته ، سلام عالمي يضمن حياة هنيئة لكل البشر بعيدا عن شبح الموت و الدمار المخيمين فوق رؤوس الجميع ، و لا سبيل لديهم في ضمان العيش معا إلا في أحضان سلام

هذا ما جعله يخصص كل وقته لمحاربة الحرب و الدفاع عن السلام ، فالفلسفة التي لا تهتم بمشكلات الإنسان ، و لا تسعى لتحليلها و حلها لا يمكن اعتبارها فلسفة البتة ، بل هي مجرد قضايا خالية من المعنى ، لذلك لا يجب على الفيلسوف إلا فهم العالم و العمل على تغييره [20] من خلال البحث عن حلول لمشكلاته ، فها هو يصرح قائلا : << ليس هناك من عمل استغرق كل حواسي و لم يخامرني فيه تردد ما مثل عملي في الدعوة إلى السلام التي تحمست لها خلال الحرب ، و لأول مرة في حياتي أجد شيئا أفعله يستغرق كل كياني >> [21] باعتباره الضامن الوحيد لاستمراريتنا في خضم الخراب الذي تبشر به الحروب المشتعلة هنا و هناك ، و مهما كانت الحروب شرعية عنده ، فالسلام أفضل منها ،

4 الخطوات الأولى إلى السلام العالمي :

قد يقول بعض متابعي راسل كيف سيتحقق السلام العالمي في ظل صراع أقطاب متنافرة همها الأول هو السيطرة على العالم أجمع ؟ كيف سيستطيع راسل التوفيق بين هذه الأقطاب و ظل حرب نووية عالمية يطل في الأفق ؟ كيف يستطيع لم شمل المتناحرين و نتائج حربين عالميتين كانت بمثابة الكارثة على الإنسانية التي لم يتم بعد التخلص منها ؟

الإجابة ليست هينة بالنسبة لراسل ، فالطريق إلى السلام العالمي طويلة جدا ، خاصة في ظل الظروف المذكورة آنفا ، لكن طولها لا يعني استحالة ادراكها ، لذلك يجب المرور على جملة من الخطوات التي قد تمكننا من اعادة العالم إلى سكته الصحيحة بعيدا عن الحروب ، و لن يتم ذلك ما لم يدرك العالم خطورة أسلحة الدمار الشامل ، لأنها العدو الحقيقي ، و لعل بوادر ا الإدراك أصبحت تبزغ مع عقد جملة من الاتفاقيات هنا و هناك بين ملاك أسلحة الدمار الشامل في سبيل تحديد سبل التقارب [22] ، والذي يبقى بعيدا على ما يصبو إليه راسل ، لأن عقد المؤتمرات ، و التعنت في التمسك بحق امتلاك

---

[19]) برتراند راسل ، مثل عليا سياسية ، تر فؤاد كامل عبد العزيز ، المؤسسة المصرية للانباء و النشر و التوزيع و الطباعة ، (مصر ، الدار القومية للطباعة و النشر) ، ص 03 .

[20]) Noam Chomsky : Problems of knowledge and freedom ; the Russell lectures , Pantheon books A Devision of Random House ; (New York; 1rst ; 1971) ; p x .

[21]) آلان وود ، المرجع السابق ، ص 96 .

[22]) برتراند راسل ، هل للإنسان مستقبل ، تر سير عبده ، دار المسيرة و دار دمشق للطباعة و النشر (بيروت ، 1982) ، ط 2 ، ص 109 .

السلاح النووي لا يعدو أن يكون مجرد تبجح الغاية منه اضعاف معنويات الخصم و الاستقواء عليه بقدر قوة الأسلحة المصنعة ، و التقارب الحقيقي الذي يتمناه راسل هو عقد مؤتمرات غايتها الأسمى هي تجنب الحروب من خلال الاقتناع بأن نتائج الحرب ستكون كارثية على الجميع ، و تجنبها واجبنا جميعا ، و إذا اضطر الأمر لإعلانها فلا يكون إلا على سبيل الدفاع لا غير ، لا على سبيل العدوان[23] ، بهذا فقط يمكن اقناع القوى الكبرى بتجنب الحروب و التأسيس لسلام عالمي يضمن الاستقرار للجميع . و حتى و ان كانت هذه المرحلة مجرد خطوة لم ترق إلى ما كان يصبو إليه راسل و من رافقه في كفاحه ضد سباق التسلح تبقى مرحلة أولى يجب المرور عليها إذا أراد العالم تحقيق سلام عالمي .

أما المرحلة الثانية ، فتكون عبارة عن تهدئة مؤقتة بين أطراف النزاع ، إذ تمتد إلى عامين يتم فيها الابتعاد عن شتى الاستفزازات بين أطراف النزاع ، فإذا كان المقصود هنا ا الاتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة الأمريكية سيتم فيها تجنب التدخل في ألمانيا الغربية من طرف السوفيات ، و تجنب التدخل في كوبا من طرف الأمريكيين ، كما سيتم فيها تجنب الدعاية المعادية و التقارب الثقافي بين المتنازعين لمحو صورة العدو الشرير[24] ، مما يتسنى فتح صفحات من الهدوء يمهد للمرحلة الثالثة ، و التي تلعب فيها هيئة الأمم دورا محوريا ، إذ لا يمكن إدراك السلام العالمي عند راسل ما لم يتم إصلاح و تقوية هيئة الأمم ، و لا يكون ذلك متيسرا إلا إذا تم إعادة النظر في حق الفيتو ، كأن تلعب فيه الدول المحايدة دورا محوريا يمنحها الحق في منح صوتها للدولة التي تمتلك الحق في أي قضية متنازع عليها[25] ، بهذا ستكون هيئة الأمم قد عبدت الطريق إلى المرحلة الأخيرة في هذا الطريق ، لتتشكل الحكومة العالمية كآخر مرحلة يخطوها العالم في سبيل تحقيق سلام عالمي يجنبنا حربا عالمية أخرى تجعل العالم سعيدا من دوننا على تعبير راسل .

5 الحكومة العالمية و السلام العالمي :

يظهر تأثر برتراند راسل بشكل جلي بكارل ماركس في نظرته إلى العلاقات الدولية ، إذ يؤمن ماركس أن التبادل الاقتصادي يجب أن يكون خاضعا للدولة ، و كلما اتسع هذا النشاط ، كان لزاما على الدولة أن توسع من نفوذها لتشرف على العملية اشرافا كاملا ، أما راسل فيؤمن بأن هذه العملية لا يمكن أن تتسع إلا ويقابلها التحام مع السياسة ، مما يجعلها السبب المباشر للحروب[26] جراء سيادة

---

[23]) برتراند راسل : الشيطان على الأرض ، ص 119 ، 121 .

[24]) المصدر نفسه ، ص 113 .

[25]) برتراند راسل : المصدر نفسه ، ص 116 .

[26]) برتراند راسل : آمال جديدة في عالم متغير ، تر عبد الكريم أحمد ، آفاق للنشر و التوزيع ، (القاهرة ، 2018) ، ط 1 ، ص 97 .

التنافس الشرس على أسواق جديدة لتصدير المنتجات ، فكانت النتيجة ظهور مستعمرات ، و قوى استعمارية متنافسة فيما بينها ، و مع تطور الأسلحة أصبحت خطورة الحرب أكبر كما أشرنا سابقا ، لذلك أصبح دور الدولة أكبر و يجب أن يتسع ليشمل العالم ككل ، لتصبح بمثابة القاعدة الأساسية التي يتأسس عليها السلام العالمي ،كيف لا و هي التي تستطيع رأب الصدع بين الدول ، و جمعها في كيان واحد ، و كأننا براسل ينطلق في عملية تركيب متصاعد تنطلق من الذرات التي هي الدول الوطنية ، لتصل إلى المركب الذي يجمعها ألا و هو الدولة العالمية التي تسيرها حكومة عالمية ، و تكمن أهمية هذا الكيان في كونه سيخلص العالم من كل عوامل التشرذم التي تدفعنا إليه الدول الوطنية اليوم دفعا ، خاصة و أن العامل الأساسي لتشكيل هذه الدول هو الوطنية التي تحولت إلى إيديولوجيا مع تطرفها الزائد عما يحتاجه تماسك الأمة ، مما يجعل العالم مشكلا من إنيات متناحرة تصبو كل واحدة إلى فرض منطقها على البقية ، و مع امتلاك الدول العظمى أسلحة الدمار الشامل أو ما أطلق عليها رسل اسم آلات الموت ، أو عواصف الشيطان التي تزرع الموت أينما حلت، و لا تترك خلفها غير صور الخراب أصبح تشكيل هذه الحكومة أمرا ضروريا ، و ليتحقق ذلك يجب أن تتوفر جملة من الشروط هي كالتالي :

1.6 الجيش :

يعتقد راسل أن قوة الحكومة العالمية ستمكنها من ردع تناحر الدول التابعة لها ، لذلك يجب أن تكون قوة الجيش في يدها ، و التخلي بشكل تام عن القوات المسلحة القومية [27]، بحيث تحوز على كل الأسلحة الموجودة في العالم ، و أي نزاع ستستطيع حله من خلال هذه القوة ، و يشترط في هذا الجيش أن يكون ولاء قواته كلها للحكومة العالمية ، حيث تشكل اليد القوية التي تضرب بها كل الدول الساعية للحرب ، فإذا وقع نزاع بين دولتين وطنيتين ستفصل بينهما الحكومة العالمية على أن يتكفل جيشها بتطبيق كل قراراتها لفض النزاع ، و إذا رفضت إحدى المتنازعتين تحرك العالم كله ضدها [28] لإيقاف عدوانها ، فالغاية الأسمى هي تحقيق السلام ، و أي مهدد له سيكون عدوا للدولة العالمية الحامية له ، هذا ما يجعله عدوا لجيشها الذي سيتحرك لحماية العالم . و ليست مهمة الجيش قمع القوميات ، بل حمايتها من عدوان بعضها على بعض ، لأن غاية الدولة العالمية هي حماية حرية الجميع و ضمان السلم والاستقرار لهم ، لا دمجهم في كيان واحد لا يعترف بتميزهم ، إذ << لكل أمة الحرية الخاصة في تقرير شؤونها الداخلية >> [29] بعيدا عن تأثير الحكومة العالمية ، بهذه الطريقة فقط يمكن من منظور راسل تجنب الحروب .

---

[27]) برتراند راسل : السلطان ، ص 244 .

[28]) برتراند راسل : آمال جديدة في عالم متغير ، ص 100.

[29]) برتراند راسل : مثل عليا سياسية ، ص 55 .

2.6 التعليم :

لا يكفي أن تشرف الدولة العالمية اشرافا كاملا على الجيش حتى تضمن السلام العالمي ، إذ يشترط عليها أيضا الاشراف التام على مناهج التربية في العالم ، خاصة فيما يتعلق بمناهج التاريخ والجغرافيا ، إذ يسهم هذان الميدانان في زيادة التوتر بين الدول من خلال اعتماد أسلوب الأدلجة في تدريسهما ، و يتوضح ذلك بشكل جلي في اعتماد التقسيم بين الدول في الخرائط بخطوط حمراء تجعل كل من يكون خارج هذه الحدود بمثابة عدو ، في حين يجب الاستماتة في الدفاع عن الدولة الوطنية التي يحميها الخط الأحمر [30] ، و تسهم الكراهية المتولدة عن التعصب إلى قومية معينة في زيادة الكراهية التي تعتبر بمثابة شرارة تحرك آلة الخراب ، و تزيد الدراسات التاريخية في هذا التأجيج ، إذ تعمد إلى تحوير أحداث تاريخية قد تبدو عادية إذا درست في سياقاتها بعيدا عن الاستغلال الايديولوجي ، و من الأمثلة التي يقدمها راسل الانقلاب في النظرة التاريخية إلى القوميات و التي كانت تتغير حسب تغير الأهداف والمصالح ، إذ كان الألمان في المناهج التي درسها **راسل** أخيارا ، في حين كان الفرنسيون يشكلون بؤرة الشر ، و لكن النظرة سرعان ما تغيرت في المناهج التي غيرت بعد الحرب العالمية الأولى ، ليصبح الفرنسيون أخيارا و الألمان أشرارا[31]. هذا ما دفع براسل إلى المطالبة بإعادة النظر في المناهج التي تدرس للتلاميذ .

و إذا أردنا ضمان سلام عالمي يجب أن تتكفل الحكومة العالمية بمراقبة المناهج المقدمة للناشئة، مع سعيها إلى إخضاع كل المناهج التعليمية لمادة التاريخ إلى هيئة عالمية منتدبة مهمتها الأساسية إعداد كتاب مدرسي حيادي متجرد تماما من التأثير العاطفي للأحداث الذي يفرضه التعصب للأمم ، ويكون صالحا لأن يدرس في كل مكان [32] تمهيدا لتوحيد البشر في كيان عالمي موحد لا تنخر جسده الحروب .

أما بالنسبة لمادة الجغرافيا فيمكن تجاوز ممهدات التعصب فيها من خلال تغيير حدود الدول في الخرائط كلما اقتضى الأمر ذلك ، إذ << إذا ما أرادت الأمم أن تحافظ على السلام ، فلا بد لها من أن تتعلم قبول تغييرات غير مرضية لها في خريطتها الجغرافية دون أن تشعر بأن تغييرا كهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا خسرته في الحرب و دون أن تشعر بأن قبولها بذلك التغيير من دون حرب هو ذل و عار [33]>> ، و تغيير الحدود يفرض تغيير خرائطها ، مما يجعلها تفقد طابع القداسة الذي اكتسبته من وحدة الخرائط

---

[30]) Bertrand Russell : justice in war time ; p 55 .

[31]) برتراند راسل ، ما الذي أومن به ، مقالات في الحرية و الدين و العقلانية ، تر عدي الزعبي ، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع ، (دمشق ، 2015) ، ط 1 ، ص 162 .

[32]) برتراند راسل : أسس لإعادة البناء الاجتماعي ، ص 123 .

[33]) المصدر نفسه ، ص 72 .

القديمة ، هذا ما يسهل عملية الاندماج بين الدول في دولة عالمية غايتها الأسمى هي السلام العالمي ، و ما يمكن التنويه إليه هنا هو أن الدولة العالمية ليست غاية في حد ذاتها ، بل هي بالدرجة الأولى وسيلة لتحقيق السلام العالمي لا غير .

3.6 السيطرة على كل الأسلحة النووية :

ورد في خطاب للورد راسل في مجلس اللوردات يوم 28 تشرين الثاني عام 1945 أن : << القنبلة الذرية بطبيعة الحال ما تزال في أول مراحل عمرها ، و أنه من المؤكد أنها ستصبح بسرعة فائقة أشد تدميرا >>[34] ، و السباق نحو تصنيعها سيزداد مما يجعل الخطر يزداد ، هذا ما يفرض التحرك سريعا لإيقاف هذا العبث اللا مسؤول ، و من جملة ما يجب الحرص على تطبيقه هو تمكين الحكومة العالمية من السيطرة على الطاقة النووية [35] ، و محاربة كل من يسعى لتملكها من الدول التي لم تملكها بعد ، وعلى ما ينطوي عليه هذا القرار من تعسف في حق الدول الضعيفة ، تبقى الغاية من ذلك هي الأسمى ، فتصاعد وتيرة الشر مع تزايد هذا السباق لا يردعها إلا حكومة عالمية قوية ، تمتلك جيشا قويا يستطيع تخليص العالم من هلع السباق المجنون نحو التسلح .

4.6التوازن السكاني :

و لا تكفي الشروط المذكورة آنفا لتحقيق السلام العالمي ، إذ توجد ظروف أخرى على بساطتها تشكل خطرا كبيرا على السلام العالمي ، إذ ماذا يفيد التعليم و الجيش الموجهين من طرف حكومة عالمية إذا كانت أعداد السكان نتضاعف ؟ لذلك اقترح راسل توزيعا عادلا لعدد السكان على كل الأقاليم المتحدة ، فلا يبقى تباين فيها بين من تجاوز عتبة المليار ، و من لم يعتب بعد حدود المليون نسمة ، والغاية الأساسية من هذا الإجراء هي ضمان توزيع عادل للطعام ، حتى تتوقف مشاعر الحسد بين من يملكون طعاما أكثر من احتياجاتهم ، و من يرزأون تحت رحمة المجاعات ، فالتباين بين عدد السكان و الطعام المتوفر سيؤدي حتما إلى حروب تدمر السلام العالمي [36]، في حين إذا تناسبت الزيادة السكانية طردا مع الزيادة في كميات الطعام فلن يكون لاندلاع الحروب أي مبرر ، لذلك فالأفضل هو تحديد للنسل يسمح بتحكم الحكمة العالمية في عدد سكان العالم ليتناسب طردا مع الطعام المتوفر ، و إذا لم يكف تحديد النسل في ذلك يمكن من منظوره الانتقال إلى عمليات أخرى تضمن ذلك ، كوأد الأطفال مثلا أو حتى

---

[34]) برتراند راسل : هل للإنسان مستقبل ، ص 28 .

[35]) المصدر نفسه ، ص 26 .

[36])Bertrand Russell : common sense and Nuclear warfare , Routledge ;classics ; (London and New York; 1est p ; 2010) p 48/49.

الحروب المدمرة ، فعلى بشاعتهما ، يلعب هذان النهجان دورهما الفعال في عملية تطور داروينية لضمان السلام العالمي [37]، فالبقاء للأصلح ، و الأصلح هو الذي يحقق هذا السلام .

6 السلام العالمي مجرد حلم جميل :

بالرغم من كل ما بذله راسل من مجهودات جبارة لتحقيق السلام العالمي ، إلا أن تحققه بالصورة التي تصورها بقي بعيد المنال ، و تتعدد أسباب ذلك ، إذ يعود بعضها إلى التصور ذاته ، و الذي يحمل بذور فنائه داخله ، إذ يقودنا تصور كيان الحكومة العالمية إلى جملة من التساؤلات تصب كلها في صعوبة تطبيقها في الواقع ، إذ يصر راسل على بناء كيان يكون أكثر تطورا من هيئة الأمم [38]، فهو مرحلة أرقى منها ، أو لنقل تحسين لها بإسقاط حق الفيتو و اضافة أعضاء جدد لمجلس الأمن الدولي ، للوهلة الأولى يبدو لنا التطبيق ممكنا ، و لكن الواقع ينفي ذلك ، إذ هل ستقبل الدول الكبرى التنازل عن حقها في الفيطو و ترهن مصالحها بقرارات دول أضعف منها ؟ الاجابة ستكون بالنفي أكيد ، خاصة و ان الهيمنة الآن تؤول إلى الاقتصاد بسيطرة الشركات متعددة الجنسيات [39]كما أن افتراض حكومة عالمية يؤول بنا مباشرة إلى التساؤل حول من يحكمها ، ألا يمكن أن تتطور لتصبح نوعا من الكيانات الديكتاتورية التي تضطهد ، خاصة مع حيازتها على كل القوى في العالم ؟

هذه النقطة تؤول بنا مباشرة إلى الحديث عن الجيش العالمي التابع للحكومة العالمية و الموجه من طرفها ، و الذي يصر راسل على أن يكون قويا و يحوز على كل أسلحة الدمار الشامل المخترعة ، السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو ما الضامن أن يكون هذا الجيش حاميا فقط ؟ ألا يمكن أن يتحول إلى جيش غاز لكل من يقول له لا ؟ السؤال يبقى مطروحا .

و تكمن الخطورة الأكبر في أطروحته ، في اشتراط التنازل عن بعض حدود الدول الوطنية إذا تطلب الامر [40] لضمان تحقيق السلام ، و كأنه أراد أن يقول أن للسلم ثمن و يجب دفعه مهما تطلب الأمر ، حتى إذا اقتضى الأمر التنازل عن بعض الأراضي ، فتحقيق السلام هو الأهم ، أما الحدود فيمكن تغييرها ، لكن السؤال الذي سيفرض نفسه هنا على أي أساس تتنازل دولة معينة عن أراضيها و ارضاء لمن ؟ ألا يكرس هذا نوعا من التعسف في حق الدول الوطنية الضعيفة ، خاصة اذا كان حكام الحكومة العالمية من الدول القوية ؟ ، و لعل السبب الذي سيفسر لنا ميل رسل إلى هذه النظرة التي لا تخلو في غالبيتها من

---

[37]) برتراند راسل : أثر العلم في المجتمع ، ص 143 ، 144 .

[38]) برتراند راسل : هل للإنسان مستقبل ، ص 116 .

[39]) Noam Chomsky : Problems of knowledge and freedom ; the Russell lectures , p 68 .

[40]) برتراند راسل : أسس لإعادة البناء الاجتماعي ، ص 72 .

تمجيد الذات و احتقار الغير ، هو اقتناع باطني بحكمة الغرب و أفضليتهم الحضارية على غيرهم من الشعوب ، مما سيسمح لهم بقيادة العالم دون افساده ، و ما المقارنات التي يجريها تباعا بين الإنسان الغربي المتحضر و الإنسان البدائي إلا صورة مبسطة لهذه النظرة العنصرية الشوفينية المقيتة ، و نظرته إلى القارة السمراء تجاوزت كل حدود العنصرية التي يمكن تصورها ، إذ يجعلها دائما مجرد تابع لأوروبا ، مفتقر للذكاء ، بل لا ينظر إلى الأفارقة في كثير من المرات إلا ككائنات لا تختلف أبدا عن القردة ، إذ << ليس ثمة حد فاصل بين شكسبير أو هربرت سبنسر و بين إنسان بابوا [*] ، و لكن يبدو أن بينهما و بين البيوي [*] من الاختلاف ما بين هذا و بين القرد >> [41] ، فالغيني في تصوره لا يختلف كثيرا عن القرد ، و بينه و بين الإنسان الغربي هوة كبيرة باعتباره يقترب أكثر من الحيوان ، في حين يتجاوزه الثاني إلى اقترابه من الإنسان الأعلى ، هذه النظرة جعلته يميل إلى جعل الحكومة العالمية بمثابة وسيلة لتحقيق السلام في العالم الغربي لا غير ، لأن إفريقيا و الأفارقة لم يرقوا بعد إلى مستوى الحضارة التي تسمح لهم الانخراط في عملية بناء الحضارة المعاصرة ، أو حتى محاولة حمايتها .

هذا ما يدفعنا إلى اعادة النظر في أطروحته للسلام العالمي ، لأن مشروعا يكرس الفكر الاستعماري حتى و إن كان بصورة مبطنة لا يمكن البتة اتخاذه كدرب لحماية العالم ، لأن خطر اندلاع الحرب سيبقى دائما ، خاصة من تلك الشعوب التي تم اقتطاع العديد من أراضيها ، أو تم الاستحواذ على ثرواتها الطبيعية تحت ذريعة حماية العالم من خطر التقاتل عليها ، و التنافس على امتلاكها ، لذلك لا يمكن اعتبار أن مشروع رسل للسلام العالمي مشروع يمكن أن يحمي العالم فعلا من الحرب .

7 خاتمة :

في الأخير يمكننا القول أن السلام العالمي كغاية كرس لها راسل حياته و تعرض لأجلها إلى تهميش و اضطهاد كبيرين تبقى غاية أسمى ، لكن تطبيقها بالصورة التي أرادها تبقى بحتاجة إلى تأصيل أكبر ، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الدولة العالمية بالدول الوطنية التي تنتمي إليها ، و علاقة الجيش العالمي بحماية الهويات الوطنية المنفصلة ، هذا ما يجعل أطروحته تدخل في مجال الاقتراب إلى اليوتوبيا منها إلى التطبيق الواقعي .

إذ لا يمكن قبول تدخل الحكومة العالمية في تحديد مناهج دراسة التاريخ لتساوي بين الظالم والمظلوم ، كما لا يمكنها التلاعب بخرائط الدول تحت ذريعة حماية العالم من الحروب ، كما لا يمكنها

---

[*]) papua : و تسمى بغينيا الجديدة .

[*]) نسبة إلى بابوا .

[41]) برتراند رسل : فلسفتي كيف تطورت ، تر عبد الرشيد الصادق محمودي ، المركز القومي للترجمة ، و مطبعة لجنة البنيان العربي ، (ط 1 ، 1960) ، ص 28 .

استغلال قوة جيشها لاقتطاع مساحات غنية بالثروات الطبيعية و الحاقها بها تحت ذريعة إيقاف التقاتل عليها ، فما الضامن أن التوزيع العادل للثروات الذي يخول الحكومة العالمية الاستحواذ على كل ما له قيمة مادية سيلحقه توزيع عادل لريعها ؟ خاصة و إذا علمنا أن الحكومة العالمية منطلقها كان استعماريا توسعيا كما وضحه رسل ، لذلك لا يمكن وضع مشروع رسل إلا في خانة اليوتوبيا إذا أملنا بتحقيقه بالصورة المثالية الموضحة في شرحه ، أو في خانة المشاريع الاستعمارية الجديدة التي مهدت الطريق لظهور النظام الدولي الجديد القاضي بهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم أجمع .

قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية :

1. صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي ، ج 1 ، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة (بيروت ، 1982)
2. كانط ، إيمانويل: مشروع للسلام الدائم ، تر عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (القاهرة ، 1952)
3. وود ، آلان : برتراند راسل بين الشك و العاطفة ، تر رمسيس عوض ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1984) ، ط 1
4. راسل ، برتراند : السلطان ، آراء جديدة في الفلسفة و الاجتماع ، تر خيري حماد ، منشورات دار الطليعة للطباعة و النشر ، (بيروت ، 1962) ، ط 1 ، ص 36 . بيروت : المنظمة العربية للترجمة ، 2008)
5. رسل ، برتراند: **أسس لاعادة البناء الاجتماعي** ، تر إبراهيم يوسف النجار ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (بيروت ، 1987) ، ط 1
6. راسل ، برتراند: الشيطان على الأرض ، تر خليل حنا تادرس ، مكتبة السائح ، (طرابلس ، 2017) ط 1
7. راسل ، برتراند: أثر العلم في المجتمع ، تر صباح صدّيق الدملوجي ، المنظمة العربية للترجمة ، (بيروت ، 2008) ، ط 1
8. راسل ، برتراند ، مثل عليا سياسية ، تر فؤاد كامل عبد العزيز ، المؤسسة المصرية للانباء والنشر و التوزيع و الطباعة ، (مصر ، الدار القومية للطباعة و النشر)
9. راسل ، برتراند ، هل للإنسان مستقبل ، تر سير عبده ، دار المسيرة و دار دمشق للطباعة والنشر (بيروت ، 1982) ، ط 2
10. راسل ، برتراند: آمال جديدة في عالم متغير ، تر عبد الكريم أحمد ، آفاق للنشر و التوزيع ، (القاهرة ، 2018) ، ط 1
11. راسل ، برتراند ، **ما الذي أومن به ، مقالات في الحرية و الدين و العقلانية** ، تر عدي الزعبي ، دار ممدوح عدوان للنشر و التوزيع ، (دمشق ، 2015) ، ط 1

12. رسل ، برتراند: فلسفتي كيف تطورت ، تر عبد الرشيد الصادق محمودي ، المركز القومي للترجمة ، و مطبعة لجنة البنيان العربي ، (ط 1 ، 1960) .

قائمة المصادر و المراجع باللغة الأجنبية :

1. Bertrand Russell ; The Art Of Philophizing and other essays ; Philosophical Library; (New York ; 1968)
2. w.B. Gallie : Philosophers of peace and war ; Kant ; Glausewitz ; Markx ; Angels and Tolstoy ; Cambridge university press ; (LONDON 1978)
3. Bertrand Russell : The Problem Of China ; Georg Allen and UNWIN LTD . Ruskin House ; (London).
4. Bertrand Russell : justice in war time ; The open court publiching co ; (Chicago ; 1916)
5. Bertrand Russell ; The prospect of industrial civilization ; Routlege classics; (landon and New York ; 2010)
6. Noam Chomsky : Problems of knowledge and freedom ; the Russell lectures , Pantheon books A Devision of Random House ; (New York; 1rst ; 1971)
7. Bertrand Russell : common sense and Nuclear warfare , Routledge ;classics ; (London and New York; 1est p ; 2010)